إضاءة

«شهادة زُور» لم يعُد أحدٌ يطيق تقديمها

حرب الإبادة تُوقظ ضمير الأكاديميا

لم يعُد ما تبقّى من العقل النقدي يتحمّل عمليات الاحتيال والتمويه التي تستخفّ بعقول الطلّاب واساتذتهم هيكل القيم يُشاهدون هيكل القيم يتهاوى بعد أن شهدوا زُوراً على تماسُكه، «شهادة زُور» لم يعُد أحد يطيق تقديمها في الوقت الذي يبصر فيه الجميع آلاف الضحايا يسقطون

اتفضت الأكاديمية اخيرا لتُذكّر العالم بأن المثقّفين والمتعلّمين يبراون من قادتهم، وبأنّ سُلطة المعرفة لن تخضع إلى سُلطان القوّة الذي سيحاول اخماد هذه الانتفاضة ضمن منطق السلطة وهيمنتها. فعلى الجامعات ان تظلّ معاقل للمعرفة، واعلى المعارف الاقرار بأوّلوية ان الإنسان الفلسطيني ليس اقلّ من سائر بني الانسان، وان نُسمّي قتل اكثر من خمسة وثلاثين الف شخص إبادة، بكُلّ تبعاتها القانونية.

نجم الدين خلف الله

من اعتصام الطلّاب في «معهد العلوم السياسية» بباريس دعما لفلسطين، 26 نيسان/ إبريل 2024 (Getty)

أخيراً، انتفضت الجامعات الغربية في أميركا وفرنسا وأستراليا أيضاً بعد أن غار الجرحُ عميقاً في ضمير الأكاديمية، لكن لماذا تأخّرت هذه الانتفاضة مع أنّ مشاهد التهجير والتقتيل حدّ الإبادة لم تتقطع ساعة واحدة منذ ستّة أشهر؟ وكيف نفسّر العنف الشديد الذي تستخدمه السلطات الأمنيّة في قمع هذه الاحتجاجات وهو عنف لم نعهده إلا في البلدان الديكتاتورية؟ قد يُفسّر تأخّر هذه الاحتجاجات بهيمنة السردية الإسرائيليّة التي سوّقتْها آلة إعلاميّة عتيّة هي بأيدي شركات عملاقة لها تقاطعات مع ساسة هذه الدُّول، وكلُّها روّج لـ«حقّ إسرائيل في الدفاع عن النفس»، وكلُّها هوّنت التعاطف مع فلسطين حتى جعلته رديف «مُعاداة السامية»، ثم نسجت حول هذا التعاطف هالة سلبيّة دعمتها بخطاب سلطوي يحوّله إلى جريمة يُعاقب عليها القانون مع التنفيذ العاجل. ولذلك أحجم الطلّاب والأساتذة، أكانوا من أصول عربية أم لا، عن الاحتجاج القوي في حرم الجامعات، كأنما عاشوا مرحلة اختمار تلاشى فيها تدريجيًا الأثر التضليليّ للخطاب الإسرائيلي وأقنيته الأميركيّة. وفي المقابل، اتّضحت الصورة للجميع وعلّت على ما عداها، ولا يصمد معسول الكلام أمام الدم القاني وأكوام الحجارة، في صُور هؤلاء الأطفال والنساء والعُجّز الذين فتكت بهم آلة الحرب الغاشمة حتى سقطت ورقة التوت ولم يعُد ضمير الجامعات، بما هي - نظريًا - معاقل المعرفة والفلسفة والأخلاق، يتحمّل المزيد من النفاق والتبرير، فانفجر من الداخل واكتشف القائمون عليها أنها تَخُونُ القيم التي تأسّست عليها وما فتئت تبشّر بها. لم يعُد أحدٌ يتحمّل حالة الانفصام الفكري التي يعيشونها منذ أشهر: تدّعي الجامعات رفْض العنف وإدانة الإرهاب ونشر المعارف وقيم الإنسانية وفي الوقت نفسه تشهد على أفظع عملية إبادة حديثة، بل تتواطأ فيها بالصمت المُريب، بالمال السخيّ، بل بالصوت الانتخابي الحاسم. بلغ التناقض المدى فتهدّم الهيكل على ساكنيه من الداخل.

«لكلّ أجل كتاب» وأجَلُ القضية الفلسطينية منتقشٌ في ضمائر الكون، لكنه مقموع بخطاب القوى الناعمة وأدوات السُّلطة الغاشمة، هو الحقّ الذي تشهد به الفطر السّليمة في صفائها والمواثيق الدولية في تعقّدها، وهذا ما يفسّر ضخامة الوسائل التي نُشرت من أجل قمع هذه الاحتجاجات التي عرّت خطاباً بأكمله، بل جعلت السُّلطة من دون خطاب ولا أساس شرعية ولا تبرير. تصدّت الفئات الطلّابية وأساتذتها لجبال الفلسطيني ليس أقل من سائر بني الانسان، وان نُسمّي قتل اكثر من خمسة وثلاثين الف شخص إبادة، بكُلّ تبعاتها القانونية.

أعلى المعارف

اتفضت الاكاديمية اخيرا لتُذكّر العالم بان المثقّفين والمتعلّمين يبراون من قادتهم، وبانّ سُلطة المعرفة لن تخضع إلى سُلطان القوّة الذي سيحاول اخماد هذه الانتفاضة ضمن منطق السلطة وهيمنتها. فعلى الجامعات ان تظلّ معاقل للمعرفة، واعلى المعارف الاقرار بأوّلوية ان الإنسان الفلسطيني ليس اقلّ من سائر بني الانسان، وان نُسمّي قتل اكثر من خمسة وثلاثين الف شخص إبادة، بكُلّ تبعاتها القانونية.

بدّدت حقيقة الإبادة التخدير الذي انطلى في الأشهر الأولى

مؤسسات تَخون القيم التي تأسّست عليها وما فتئت تبشر بها

في الأشهُر الأولى لم يعد يقوى على مقارعة الصور الحقيقية العارية التي تصطفّ فيها مئات الجثث في أكفانها البيضاء، تتسرّب منها بُقع الدم القاني، دمُ الرُّضّع والنساء اللواتي لن يقدر أي خطاب مهما تناهى في بلاغته أن يصمهم بالإرهاب ولا بتهديد أيّ أمن قوميّ. لم يعُد ما تبقّى من مُسكة العقل ينقذ من الجنون وفي الجامعات خلقاتٌ نقاشٌ «بورجوازية» تتناول «تسهيل الحوار وتعزيز السلام الاجتماعي». تقول هذه الاحتجاجات إنّ التخدير الذي انطلى التي طالما تبجّح بها، بل عاقب، مُتعجرفاً، مَن يحيد عنها قيد أنملة. كان عنف هذا القمع بقدر قُدرة الجامعات على فضح التواطؤ الغربي الذي تلطّخت أيادي قادته بدماء الأطفال والرضّع. للاحتجاجات في الحرم الجامعي قداستُها وشرعيتها: فعندما تأتي من الشارع، تسارع وزارات الداخليّة، ضمن معركة الأرقام، إلى التهوين من شأنها وجعلها من الأعيب الأحزاب اليسارية التي يسهل وصْمها بـ«التطرُّف»، كما حصل مع «حزب فرنسا الأبيّة»، أو حتى اعتبار تلك المظاهرات امتداداً لـ«شغب شبّان الضواحي»، أبناء المهاجرين المغْرَبين. أما أن تنطلق هذه الاحتجاجات، وإن متأخّرة، من صلب الأكاديمية ومن المعاهد والجامعات العُليا، فذلك يعني أنّ الصوت الصادح والحنجرة الصارخة قد تجاوزت الأفق الأيديولوجي وكسرت طوق الانفعال الآني. انفلتت الاحتجاج من عقاله في الأوساط الجامعيّة على اختلاف مشاربها بعد أن خمدت وسائل التخدير التي أرسلتها أجهزة الدعاية: الأطفال في غزّة يموتون وفي الجامعات خلقاتٌ نقاشٌ «بورجوازية» تتناول «تسهيل الحوار وتعزيز السلام الاجتماعي». تقول هذه الاحتجاجات إنّ التخدير الذي انطلى شهدوا زُوراً على تماسُكه، «شهادة زُور» لم يعُد أحد يطيق تقديمها في الوقت الذي يبصر فيه الجميع الآف الضحايا يسقطون المئة تلو الأخرى، أمام عجْز دوليّ وصمت جمعيات حقوق الإنسان والقادة الدينيّين والثقافيّين. انهار الصرح المُزيّف أمام الجميع فلم يبقَ سوى الخروج، وإلّا سقطت النخبة الجامعية في الآلا-معنى: تدرّس هذه الجامعات العلوم الإنسانية والسياسية في الوقت الذي تُنتهك فيه أبسط قواعد السياسة بوحشية القرون الوسطى، وتُداس الإنسانية بآلة الحداثة وذكائها الاصطناعي. لا يُمكن لدَرس أن يتواصل ولا لمحاضرة أن تُلقى، صار استمرار الدروس عبثاً لا يطيقه ذو لبّ. ومع ذلك، يظلّ السؤال قائماً: لماذا كان إيقاع الجامعات أبطأ من إيقاع الشارع؟ بالفعل، عرفت المدن الأميركية وباريس ذاتها العديد من المظاهرات قبل أشهر، لكنّها لم تكتسِ هذا الطابع الأكاديمي إلّا في هذه الأيام بعد أن كانت أكثر شعبيّة. تفاوُتٌ قد يشرحُ بُحبُوحَ وسائل الرقابة وما تُمارسه من لُغة انتباه وتزييف للوقائع ورفع للشعارات المُضلّلة والقرارات السخيفة، ومن آخرها أن يتدخّل رئيس المانيا لإلغاء نقاش حول غزّة بُحجج واهية، لعلّ أسخفها ما عبّر عنه بيانٌ مكتبه: «خلق مساحة لآلام جميع الأطراف»، سطحيّةٌ باردة منعت خروج الاحتجاجات من قبل، ولا نُخالها تصمد لأنّ الألم الفلسطيني طغى على كلّ مساحة حتى عاد كلٌّ وجع غيره هيّنٌ، وإن تاجر به «بارونات» الحرب. انتفضت الأكاديمية أخيراً لتُذكّر العالم بأن المثقّفين والمتعلّمين يبرؤون من قادتهم، ولا يُوافقون على سياستهم المتواطئة وبأنّ سُلطة المعرفة لن تخضع لسُلطان القوّة ولا لعنف الشرطة وأباطيل الإعلام وأشباه المثقّفين المألمين. غار الجُرح عميقاً في ضمير المعرفة وعلوم الإنسان واللسان التي كانت لها فضيلة تعرية التلاعُب، فكيف بها وهي الآن تُشاهد إبادة تجري تحت أنظار العالم بهيئاته الدولية والعسكرية من دون أن يرفّ لقادته جفن. صراخ الجامعات العريقة وإن كان سيُصمّ آذان الساسة، فإنّ هؤلاء سيُواصلون محاولة التجييف حتى إخماده ضمن منطق السلطة الرافض دوماً لكلّ نقد أو محاسبة، وعلى الجامعات أن تظلّ معاقل للمعرفة، وأعلى المعارف الإقرار بأوْلويّة أن الإنسان الفلسطيني ليس أقل من سائر بني الإنسان، وأن نُسمّي قتل أكثر من خمسة وثلاثين ألف شخص إبادة، بكُلّ تبعاتها القانونية.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

مع غزّة

بسام بونني

خلاصنا يمرّ عبر غزّة

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء

تونس ـ العربي الجديد

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

اليوم التالي. لكن ليس مثلما ينتظره الإسرائيليون أو «يُبشّرون» به. خبرتُ الحرب كمراسل في مناسبات عدّة، وأعلم جيّداً قدرتها التدميريّة. لكنّ هذه حرب ليست كبقيّة الحروب، لا من حيث الشكل ولا السياق ولا التداعيات. ثمّة محاولة لتصفية القضية الفلسطينية، بمكوّناتها المتعدّدة، انطلاقاً من الإنسان الفلسطيني والأرض الفلسطينية والهوية الفلسطينية، وصولاً إلى الوعي والقيم والمبادئ. الخوف كلّ الخوف أن نرى الصفحة تُطوى بشكل سريع يتنكّر للشهداء.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

أشعر، منذ اليوم الأوّل، بما يُشبه المصعد العاطفي، مع اختلاط الأحاسيس ما بين الأمل والإحباط والفرح والحزن. استقلتُ من «هيئة الإذاعة البريطانية» التي كنتُ مراسلاً لها بمنطقة شمال أفريقيا، احتجاجاً على انحيازها للرواية الإسرائيلية، وعكفتُ بعدها لأسابيع طويلة على إنجاز كتاب عن العبارات الأيقونية خلال «طوفان الأقصى».

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

الإبداع، مهما كان شكلُه، هو أوّلاً تنفيسٌ ضروريّ لصاحبه، وقد يكون فائدةً للعائلة، من دون مبالغة، توقّفت الحياة منذ السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر، ونحن في لحظة تشكّل ردود فعل بشكل جمعي. وبالتالي، يُصبح العمل الإبداعي ضرورةً لانتشالنا من لحظة البهتة التي نتقاسمها. أهمّ ما نشهده اليوم هو انفجار إبداعي، عبر صناعة المحتوى والشعر والتصوير والرسم والكتابة، حتى والأحداث لا تزال متواصلة، بكمّها اليومي من المآسي وما يثيره من إحباط.

■ لو قُيّض لك البدء، من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

الإبداع هو عملٌ نضالي وإنساني في الأساس. أمّا السياسة فهي تُغتال اليوم في أوطاننا، ولا أرى نفسي جزءاً منها، على الأقلّ في ما يتعلّق بجانب التنظّم الحزبي. لكن، هي كالهواء، لا يمكن الاستغناء عنها أو التهرّب منها، ولا أرى الإبداع بمعزل عن كلّ ذلك.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أن يصبح العدل حقّاً لكلّ النّاس، لا لأناس من دون غيرهم. أخطرُ ما يحصل اليوم هو التنكّر للعدل. القضية الفلسطينية هي من القضايا غير الخلافية أخلاقياً. كلّنا نعلم أنّ العالم كلّه يعلم هذه الحقيقة؛ فالحقّ فيها بيّن والباطل أيضاً.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

أعتقد أنّي قد التقيتُه فعلاً، وأعني الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله. كنت أنذاك باحثاً في مركز فرنسي للدراسات بالقاهرة، واستقبلني في بيته لساعات طويلة مرّت قصيرة. أذكر أنّي لم أنبس ببنت شفة طيلة اللقاء، باستثناء بعض الأسئلة التي وجّهتها له، وشكرته. كان مشروعُه الفلسفي واللغاية على المشروع الصهيوني، وتحديداً على السردية الصهيونية، وفعلُه المقاوم كان بالمنطق والعقل والعلم.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

ترفض الحروف أن تتراصّ إلى جانب بعضها البعض لتشكيل كلمة واحدة تفيهم حقّهم.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

خلاصنا يمرّ عبر غزّة.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي». ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

حماكم الله! غيّرتم حياتنا. غيّرتم طريقة تعاملنا مع أبنائنا. لم أعد أحتضن أبنائي كما كنت أحتضنهم من قبل. أخرجتم أفضل ما فينا حين لزم الأمر وأسوأ ما فينا حين اقتضت الحاجة. أنتم روح الروح. يا لهذه الكلمة من سحر!

فلسطين ليست قضية خلافية والعالم كله يعرف هذه الحقيقة

بسام بونني

ندوة

إيمانٌ بفلسطين حتى الرمق الأخير

صانع أمل اسمُه سعيد تقي الدين

تناول المشاركون في الندوة، التي احتضنها «ملتقى السفير» في بيروت، إرث الأديب اللبناني وانشغاله الوطني والإنساني بقضيّة فلسطين

بيروت ـ العربي الجديد

لطالما ارتبط اسمُ القاصّ والكاتب المسرحي والصحافي اللبناني سعيد تقي الدين (1904 - 1960) باسم الباحث جان داية، حيث عُرف الأخير بأنّه قد كرّس مُجمل اشتغالاته النقدية، لأكثر من خمسة عقود، لإنتاجات صاحب «حفنة ريح» (1948). ضمن هذا الإطار، وبالتزامن مع مرور 120 عاماً على ذكرى ولادة الأديب البعقليني (نسبة إلى بلدة بعقلين حيث وُلد) التي تُصادف 15 أيار/ مايو، عُقدت مساء الأربعاء الماضي، في «ملتقى السفير» ببيروت، ندوةٌ بعنوان «جان داية وتراث سعيد تقي الدين»، في محاولة من المُنظّمَين («دار أبعاد» و«دار نلسن») للإضاءة على هذه العلاقة الأدبية بين الاسمين وأبرز محطّاتها.

قدّم للندوة الكاتب والناشر سليمان بختي الذي أشار إلى أنّ «ثلاثة عشر كتاباً كان قد أنجزها تقي الدين في حياته، في حين تكفّل داية بإصدار البقيّة بعد رحيل صاحبها، وبلغت أربعة عشر كتاباً توزّعت بين القصّة القصيرة والمقالة والمسرحيات والخطابات والرسائل. وبهذا فإنّ تقي الدين، وبهمّة جان داية، ما يزال يُراكم إنتاجاته رغم مرور أكثر من ستّة عقود على رحيله».

واستذكر بختي، في حديثه صرخة، تقي الدين «كلّ مواطنٍ حُقير»، التي صارت لاحقاً اسماً لجمعيّة انسمها في سياق مواجهته النشاط الصهيوني على أرض لبنان، حيث تزامنت عودته من الفلبين عام 1948 مع نكبة فلسطين، كما لفت المُتحدّث إلى حضور والدة تقي الدين في أدبه، وتركها أثراً قويّاً في ما أنتج، معتبراً «أنّ تقي الدين كان أحد صنّاع الأمل في حياتنا».

بدوره، تحدّث الكاتب رمزي علم الدين عن تجربته الخاصّة مع خاله، والتي امتدّت لعشر سنوات، وقد ضمّن بعضها في كتاب له صدر عام 2022 بعنوان «أحكي جالس». واستحضر علم الدين، في مداخلته، خصائص الكتابة القصصية التي ميّزت صاحب «أقدام عارية» (1953)، حيث قال إنّها تقوم على التكثيف والإيجاز والسخرية، ومثّل لهذا بقصّة قصيرة من إرث الراحل عن مُحرّر كان يعمل في جريدة، وكان يُطيل في أخباره، ويتلقّى التنبيه إثر الأخر من رئاسة التحرير إلى ضرورة الاختصار وعدم الإطالة، فما كان منه إلّا أن ردّ عليهم بخبر كتب فيه: «نزل أمين نادر من سيارته ليتفحّص مستوى الوقود فيها، أشعل عود ثقاب ليرى الخزّان، فوجده مملوءاً. الدفن غداً».

أمّا الباحث حسن حمادة فلفت، في مداخلته، إلى أنّ «جان وسعيد شكّلا ثنائيةً يُمكن لها أن تكون مادّةً لرواية أدبيّة شيّقة في حدّ ذاتها، بل إنّ أيّ دراسة جادّة تتناول أدب الثاني لا يُمكن أن تصل إلى خلاصات نقدية حقيقية من دون الإشارة إلى مجهود الأوّل أو الاعتماد عليها». وفي هذا السياق ذكر أبرزَ مؤلّفات داية: «أدب سعيد تقي الدين» (1979)، و«عقيدة سعيد تقي الدين» (1994)، و«سعيد تقي الدين في الحزب القومي السوري» في أربعة أجزاء (1995)، إلى جانب عشرات النصوص التي ظلّت مجهولة قبل أن يكشف جان داية النقاب عنها.

وختم الباحث إياد موصللي، الندوة بمُداخلة حملت عنوان «فنجان قهوة صباحاً مع سعيد تقي الدين»، مُستعيداً فيها ملامح من تجربة الاعتقال السياسي التي مرّ بها مطلع الخمسينيات، حيث كان من الصعب إدخال الكتب والصحف إلى «سجن الرمل» في بيروت، لكن عندما أتيح ذلك لمجموعة من السجناء، وجدوا فيها كتابات لسعيد تقي الدين من بينها مقال بعنوان «أمنتُ بالذي قال لجلّاديه شكراً» ويُنهي موصللي حديثه بالقول: «كانت لحظة إنسانية عارمة ترجمت ما كنّا فيه، ونقلتنا من عالم الألم إلى الإبداع».

جانبٌ من الندوة (العربي الجديد)

فعاليات

عند الخامسة (بتوقيت تونس) من مساء العاشر من الشهر المقبل، يقدّم الباحث في جامعة هارفارد، **وليم غرانارا**، محاضرةً بعنوان **خريطة المدينة في الروايات التاريخية التونسية** في فرع الجامعة بتونس وعبر منصّة زووم. تندرج الندوة ضمن سلسلة **تونس: المتوسّط وابعد** التي يُيسّرها الباحث **حسام الدين شاشية**.

على خُطى السلطان عنوان كتاب للباحث الراحل **عبد الرحيم ابو حسين** (الصورة)، تُطلقه الجامعة الاميركية في بيروت، في ندوة عند الثالثة والنصف من مساء 16 ايار/ مايو المقبل. يضمّ الكتاب مجموعة من المقالات والشهادات التكريمية التي تتناول ارث صاحب «التمرّد الطويل» الذي ركّز في اشتغالاته على فترة الحُكم العثماني وعلاقة سلالاته بالمنطقة العربية.

من 20 إلى 23 أيار/ مايو المقبل، تعقد «مؤسّسة الدراسات الفلسطينية» مؤتمرها السنوي بعنوان **75 عاماً من النكبة المستمرّة: الإنتاجات المعرفية** في بيروت وبيرزيت ونيويورك وافتراضيا. يهدف المؤتمر إلى مراجعة الإنتاج المعرفي والعلمي عن النكبة، والذي نُشر باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والعبرية.

يُفتتح، عند السابعة من مساء غدٍ الثلاثاء، في «غاليري آزاد» بالقاهرة معرضٌ للتشكيلية السورية **سعاد مردم بك**، بعنوان **قَصقِص ورق**. تقترح الفنّانة مجموعة لوحات تستحضر الجسد الانساني وما يعتريه من تحوّلات بناءً على الحالة النفسية التي يمرّ بها صاحبه، في مقاربة لونية تقترب من الداكن وتعتمد على تدرُّجاته.